حديث الوفاء

مجموعة من العلماء

تقديم للدكتور محمود المصري مدير الجلسة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيّدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ [الأنبياء: ٤٤]، قال ابن عبَّاس رضي الله عنه: "خرابها بموت علمائها وفقهائها وأهل الخير منها"، وكذا قال مجاهد رحمه الله: "هو موت العلماء"، هذا التفسير نراه يتوافق مع جعل النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم فُشُوَّ الجهل من أشراط الساعة.

عندما دخل علينا شيخنا نور الدين عتر رحمه الله تعالى في أوَّل محاضرةٍ له في الدراسات العليا، بدرنا بقوله: "أنتم بإمكانكم أن تطيلوا عُمُرَ العالَم"، ثمَّ روى لنا حديث الصحيحين أنَّ من أشراط الساعة أن يُرفع العلمُ ويثبُتَ الجهلُ، وقال: "من حكمة الله تعالى أنَّه طالما يوجد طَلبةُ علمٍ فإنَّ الساعة لا تقوم"، وكان هذا شأنه معنا في كلِّ محاضرة، فلا تخلو واحدةٌ من محاضراته من التوجيه والإرشاد الذي يظهر في ثنايا المادة العلمية المقدمة بين الحين والآخر، فكان الشيخُ بحقٍّ عالمًا ربَّانيًّا وأنموذجًا للعلماء العاملين في هذه الأُمَّة، تصعُبُ الإحاطة بجوانبه الشخصيَّة العلميةِ والربَّانية. لقد ودَّعنا وودَّع العالَمَ الإسلاميَّ بعد عقودٍ من عطاءٍ لا ينضُب، عمَّت مؤلَّفاتُه العالم الإسلامي، وكُتِبَ لها القبول، وتتلمذ على يديه الآلاف من طلبةِ

العلم، أخذوا العلم عنه مباشرةً في جامعات العالم الإسلامي المختلفةِ التي درَّسَ فيها، وفي حلقاته العلمية المباركةِ كذلك، فحقَّق الله تعالى له خدمة العلم والدين من خلال خدمة الكتاب والسُنَّة، وممَّا مَنَّ اللهُ به عليَّ أنَّه كان رحمه الله يدعو لي بدعاء يكتبه على كُتبه التي يهديها للفقير، وهو "وفَّقك الله لخدمة العلم والدين"، وكان يقول لي: "هكذا كان يدعو له بعض شيوخه"، ونحن في هذه الجلسةِ المباركة سوف نتناول بعضًا من جوانب شخصيَّة الشيخ العلمية الربَّانيةِ الفذَّةِ، وجهوده في خدمةِ العلم والدين، وذلك مع أساتذتنا الفضلاء الذين خَبِروهُ بصحبتهم الطويلة له، وجَمع بينهم، فضلًا عن خدمة العلم والدين عمومًا وعلم الحديث خصوصًا، عِلْمٌ جليلٌ هو علمُ تحقيقِ النصوص، فقد تصدَّر هؤلاء الفضلاءُ العملَ بهذا الفنِّ، والتنظيرَ له في واقعنا العلمي المعاصر، وهم: فضيلة الشيخ العلَّامة محمَّد عوَّامة، وفضيلة الشيخ العلَّامة الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، والأستاذ الدكتور فيصل حفيان.

نظام الجلسات في هذه الندوة التي سمَّيناها (حديث الوفاء) يقوم على إتاحة المجال للأساتذة المتكلِّمين لنسمع منهم ذكرياتهم مع شيخنا الراحل، ونسمع من خلالها إضاءاتهم على جوانب إنسانيةٍ وعلميةٍ واجتماعيةٍ في شخصيَّة الشيخ، دون أن نقيِّدَ الكلمة ضمن إطارٍ موضوعيٍّ محدَّد.

ثلاثةُ علماء ارتبطوا بذاكرتي مجتمعين: شيخُنا الشيخُ عبد الله سراج الدين رضي الله عنه، وشيخُنا الشيخ نور الدين عتر رضي الله عنه، وشيخُنا الشيخ محمَّدٌ عوَّامة.

كنت إذا ذكرتُ فائدةً يسيرةً بين يدي شيخنا نورِ الدين، أنقُلُها عن شيخنا عبدِ الله سراج الدين رحمهم الله، استعظمَها الشيخُ نورُ الدين، وقال: "بشَّرك الله بالخير"، فيتوهَّم بعضُ الحاضرين أنَّه لم يكن يعرفها، وأنا على يقين أنَّ الشيخ يعرفُها أكثرَ منِّي، لكن كان يُعبِّر عن تواضعه من جهةٍ، واحترامِه لشيوخه من جهةٍ أُخرى، مع ما في هذا الخلق من التشجيع لطلَّابه، والتعليم والإرشاد لمن حوله ليكتسب مثل هذه الأخلاق، هذه مواقف بسيطة من آداب الشيوخ، لكنَّها هي التي تصنعُ شخصيَّةَ طلَّابِ العلم.

عندما كان الشيخُ نورُ الدين يحضُرُ دروسَ الشيخ عبد الله سراج الدين العامَّة في

جامع بان قوسا بحلب، كنتُ أنظرُ إليه وهو يجلسُ بين عامَّةِ الناس دون أن يعرفه أحد، ولا يجلس مع الشيوخ الذين يجلسون حول الشيخ عبد الله سراج الدين، وكان هو آنذاك الأستاذَ الدكتورَ في جامعتي حلب ودمشق.

وكذلك أذكر أنَّنا حينما كنَّا نزور الشيخَ عبد الله سراج الدين بمَعِيَّةِ شيخنا الدكتور نور الدين، كان يُعلِّمُنا بأدبه وسلوكه كيف يكون الأدبُ بحضرةِ الشيوخ.

معنا في هذه الجلسة المباركة من هو أعلمُ منِّي بالشيخين الجليلين العالمَين رحمهما الله تعالى، وهو فضيلةُ الشيخِ العلامة محمَّد عوَّامة، مديرُ دار الحديث في جامعة ابن خلدون، وهو من أقران الشيخ نور الدين، ومن تلامذة شيخنا الشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله، فليتكرم علينا ويفتتح هذه الندوة المباركة بما يفتحُ اللهُ بهِ عليه.

كلمة فضيلة الشيخ محمَّد عوَّامة

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضلُ الصلاةِ وأتمُّ التسليم على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين، السلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته يا أيُّها السادة، وأشكرُ اللهَ عزَّ وجلَّ على أن حرَّك قلوبَ الصالحين بمجالس الوفاء لشيوخهم وأصحابهم وأهل الفضل، منهم الأستاذُ الدكتور أحمد طوران عميدُ كلية العلوم الإسلامية في جامعة السلطان محمَّد الفاتح، فهو الذي دعا إلى هذا المجلس فجزاه الله كلَّ خير، وأيضًا أشكر أخي الدكتور محمود المصري جزاه اللهُ كلَّ خير فإنَّه حرَّك قلبي ومشاعري نحو الإمام الحُجَّة شيخي الشيخ عبد الله سراج الدين، ونحو أخي فضيلة الأستاذ الدكتور نور الدين عتر، تغمَّدهم اللهُ تعالى برضوانه ورحماته.

الصلة الشخصيَّة

بيني وبين فضيلة الأستاذ الدكتور نور الدين مودَّةٌ أكيدةٌ، ومحبَّةٌ وثيقةٌ، وأخوَّةٌ لازمة، من عام ألف وثلاثمئة وخمس وثمانين للهجرة، ربَطها بيننا الشيخُ عبدُ الله سراج الدين رحمه الله تعالى، فحين أراد الدكتورُ نور الدين عتر تحقيقَ مقدِّمةِ ابن

الصلاح أحاله سيِّدي الشيخُ عبد الله إليَّ للتعاون العلمي في طباعة هذا الكتاب وتحقيقِه، ومِن أوَّل يوم توثَّقت الصلةُ بيني وبينه، فنحن من بلدٍ واحدٍ، ومن اتِّجاهٍ علمي واحد، رغم أنِّي كنتُ في معهدٍ غير معهده الذي درَس فيه المراحلَ الأولى في الدراسة الشرعية، وتوطَّدتِ الصلةُ في طباعةِ مقدِّمةِ ابن الصلاح، ثمَّ شرحِ علل الترمذي لابن رجب، ثمَّ المغني في الضعفاء للإمام الذهبي، ثمَّ الرحلةِ في طلب الحديث للإمام الخطيب البغدادي، حين كان يطبع كتبَه في حلب كنَّا متعاونين في هذا المجال، وكانت الزياراتُ والجلسات كثيرة، ولمَّا استقرَّ أو شبه استقرَّ فيها قلَّت الصلةُ واللقاءاتُ والزيارات، ولكن كانت القلوبُ مع بعضها والحمد لله ربِّ العالمين، هذه كلمةٌ في ما يتعلَّق بالصلة الشخصيَّة بيني وبين الشيخ الراحل تغمَّده الله برضاه.

الجوانب العلمية

إنَّ أَحَبَّ جانب إليَّ من جوانب حديثي عنه رحمه الله هو الجانب العلمي الذي تألَّق نجمُه فيه، جزاه اللهُ كلَّ خير.

الشيخُ رحمه الله كغيره من العلماء، لهم آثارٌ ناطقة وآثارٌ صامتة، آثارهُم الناطقةُ تلاميذُهم، والشيخ جزاه الله كلَّ خير ربَّى أجيالًا، وجاوزت سنواتُه العلميَّة العطائيَّة الخمسين سنة، ابتدأ ذلك في الجامعة الإسلامية في المدينة المنوَّرة عام ألف وتسعمائة وخمسٍ وستِّين ميلاديَّة، واستمرَّت عطاءاتُه التعليمية، درَّس أجيالًا وأجيالًا في مختلفِ البلاد، وأسأل اللهَ تعالى أن يكون فيهم الخَلَفُ الصالح للشيخ وغيره من علماء المسلمين.

أمَّا آثارُه الصامتة، وهي الدائمة، فهي كتبُهُ وما أكثرها والحمد لله، بلغ عددُ كتبِهِ نحو الستِّين كتابًا في مختلف الفنون، وأهمُّها ما يتعلَّق بالقرآن الكريم، وأكثرُها ما يتعلَّق بالحديث الشريف، وبعضُها في الثقافة الفكرية المعاصرة، هي ستُّون أو تقارب الستِّين في العدد، ولكن في ما أقدِّرُه وأراه أنَّها تزيدُ على المائتين بسبب أنَّ الشيخ رحمه الله ما كان يكرِّر طباعةَ كتابه كما هو؛ بل أكثرها إعاداتٌ وإفاداتٌ وصقلٌ

ومقابلةٌ بمخطوطات، وما إلى ذلك من التوسعة والأبحاث الزائدة والإفادات الكثيرة على الطبعات التي قبلها، فكلُّ طبعةٍ من هذه الكتب تُعَدُّ بمثابةِ كتابٍ جديدٍ له، وهذا أمرٌ يجب أن يُذكرَ له بالعرفان الجميل والثناء العاطر.

وأمرٌ آخرُ، وهو أنَّ كتبه جزاه الله كلَّ خير لها سماتٌ متعدِّدةٌ بارزة:

أوَّلُ سمةٍ فيها: الجِدُّ والجِدَةُ.

الجِدُّ في البحث، والجِدَةُ في الكتابة، والتنقيبُ في المراجع، والنقولُ الكثيرة، والأبحاثُ الوفيرة جدًّا من مصادر متعدِّدة، ولا يبخل على وقته ومن عافيته ونشاطه أن يرجع إلى كتابٍ وكتابٍ، من مخطوطٍ ومطبوع، وحيثما حلَّ رحمه الله كان يستفيد من مكتبات المخطوطات في تلك البلدة، فالمخطوطات كثيرةٌ، من حلب ودمشق ومن مصر، وهذا واضح جدًّا من مصادره في كُتبهِ رحمه الله.

أمَّا الجِدَةُ: فكُتُبُهُ كلُّها تتَّسم بفوائد ومناهج في البحث جديدة، ولا سيَّما كتابه الأوَّل الذي هو رسالة الدكتوراه (الإمام الترمذي والموازنة بينه وبين الصحيحين)، فهو أوَّل بحثٍ عن هذا الكتاب في السنَّة النبوية، وأوَّل بحثٍ في الرواية والدراية للحديث الشريف وخدمة رجال الترمذي، وما إلى ذلك من أمورٍ واضحةٍ جدًّا في خدمة هذا الكتاب.

وكتابه الثاني: (منهج النقد)، أيضًا كتابٌ متميِّزٌ بالجِدَةِ في أبحاثه الكثيرة؛ بل الإطار الأوَّل والهيكلة الأولى لأنواع علوم الحديث، كانا جديدين جدًّا.

من سماتِ كُتبه: الأسلوب العلمي المعاصر، واضحة لا تعقيد فيها، ولا حشوَ فيها، وهذه مزيَّةٌ لكونه عالمًا يكتب لا أديبًا يُنشئ.

صفات كتبه

ومن السمات البارزة في كتبه:

أنَّه ينقل من المصادر الأصيلة الأصليَّة، فمثلًا إذا كان يريد أن يستشهد بحديث

من سنن أبي داود، فإنَّه ينقله من سنن أبي داود مباشرة، ولا ينقله من كتاب يعتمد على أبي داود.

ومن المهمِّ جدًّا في أبحاثه، أنَّه حينما يتعرَّض للمذاهب الفقهية ينقل الأحكام من مصادرها الأصليَّة، فإذا أراد أن ينقل حُكمًا عن الإمام مالك رضي الله عنه ينقله من مذهب المالكية، وإذا أراد أن ينقل حُكمًا عن الشافعي ينقله من كتبه وكتب المذهب الشافعي، وهكذا، تجنُّبًا لما يقع في كُتب كثير من العلماء السابقين واللاحقين من أنَّهم ينسبون المذاهب نسبةً غير صحيحة فتتراكم الأخطاء.

وأيضًا كتابات الشيخ كثيرةٌ في الجانب الفقهي، وهو اعتاد على ما نشَّأه عليه مشايخُه، ونشَّأ طلَّابَه عليه، وهو التزامُ السواد الأعظم من جمهرة علماء المسلمين، لا يُدخل الشذوذات، ولا يلتفتُ إلى أهلها وأصحابها، جزاه الله كلَّ خير، إنَّما هو مع الخطِّ العامِّ للعلماء المسلمين، لا بُنَيات الطريق، وهذا ممَّا يُذكر ويُحمد عليه الشيخ رحمه الله أنَّه تربَّى على هذا، وربَّى طلَّابه على هذا.

وكتُبه كما قلتُ يا أيُّها السادة كثيرة، وهي في هذه الفنون الثلاثة: القرآنية والحديثية والفكريَّة العامَّة، وأرى أنَّ واسطة العقدِ فيها كتابُه الأخير (إعلامُ الأنام)، في هذا الكتاب نهج هذا المنهج الذي شرحتُ بعضَه، التزامُه للتخريج الحديثي من مصادره الأصليَّة، والتزامُه لنقول المذاهب من مصادرها الأصليَّة، والتزامُه للخطِ العامِّ للسواد الأعظم للعلماء المسلمين.

وأمَّا الأمرُ الأخير، والأهمُّ عندي، أنَّه أنقذ طلَّابَ العلم وأساتذتَهم ممَّن سَمَوا في سماء العلم من المعاصرين، لكنَّهم تربَّوا على سُبُل السلام للصنعاني ونيل الأوطار للشوكاني، فأراد الشيخ جزاه الله كلَّ خير أن يُنقذَ هذه الفئة من طلَّاب العلم وأساتذتِه من سُبل السلام وصاحبه الصنعاني، وذاك لأنَّ الصنعاني مشربُه العقديُّ معروف، ليس من أهل السنَّة والجماعة، ولم تعقم مكتبات علماء أهل السنَّة عن كتابٍ في أحاديث الأحكام نظيفٍ طيّبٍ على مذهب أهل السنَّة والجماعة، ولم تخلُ المكتبةُ الإسلاميةُ من هذا، فعندهم الشيء الكثير، وقد طُبع في تلك الأيَّام عدد من ذلك، فلماذا نلجأ إلى سُبل السلام وعندنا الغَنَاء الكافي من مكتبتنا السنِّيَّة؟

أمرٌ آخَرُ، الصنعانيُّ له كُتيِّب صغيرٌ طُبع من سنواتٍ قريبة، طُبع طبعتين، اسمه (ثمرات النظر في علم الأثر)، هذا الكتيِّب في تعريف العدالة في الراوي من هو، وما هو تعريف العدالة، ولكنَّه نفث فيه سمومَه، ولعن فُلانًا وفلانًا من الصحابة رضي الله عنهم، وقال كلمةً خطيرةً جدًّا في هذه الأوراق القليلة، قال: ذكر المحدثون في كُتب معرفة الصحابة من ارتدَّ عن الإسلام وكفر وسكت، ولم يعلِّق بكلمةٍ أخرى، وهذا خطيرٌ جدًّا، يعني أنَّنا نجد في الإصابة وفي معجم ابن البغوي وابن منده وغيرهم أسماء مُترجمين وهم قد كفروا وارتدُّوا عن الإسلام، ولم يعلِّق بشيء آخر، أو يقل رجعوا إلى الإسلام، والعلماء بالنسبة لمن ارتدَّ ثمَّ رجع، منهم من قال يرجع إليهم شرفُ الصحبة، ومنهم من قال لا يرجع لهم شرف الصُحبة، ولكنَّ رواياتهم في حكم المسانيد؛ لأنَّهم رووا ما سمعوه من النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم في حال الإسلام وفي حال العدالة.

وعلى كلِّ حال، ينبغي أن تتبنَّى الجامعات الإسلامية تقرير هذا الشرح الوافي بعلم الشيخ نور الدين الحديثي والفقهي، والوافي بمنهجه وأسلوبه المعاصر، وأن تتبنَّى تقرير هذا الكتاب بديلًا عن ذاك الكتاب.

والأمل بالله عزَّ وجلَّ أن يُهيِّئ أيضًا عالمًا من العلماء المسلمين، أو مجموعًا منهم، على شرحٍ وافٍ كافٍ لمُنتقى الأخبار؛ ليُنقذوه أيضًا من شرح نيل الأوطار للشوكاني، وهو أسوأ من الصنعاني، وعلى كلِّ حال، هذا الكتاب هو واسطة عقد الشيخ وقد تحلَّى بهذه المزايا العلميَّة.

ومن مزاياه أيضًا، وهي عارضةٌ طفيفة، أنَّه يتجنَّب المصطلحات العلمية، وإن اضطُرَّ إليها شرحها وعرَّف القرَّاء بها، فهو يُلاحظُ مستوى قرَّائه وطلَّابه الجامعيين وينقذهم من التعقيد العلمي.

تساقط لبنة من لبنات الحصن العظيم

وكلمةٌ أخيرةٌ يا أيُّها السادة، اليومَ توفِّي الشيخ نور الدين فبكيناه وتذكَّرناه، وغدًا نسكتُ عن البكاء ونتذكَّرهُ، وبعد غد نسكتُ عن البكاء وعن الذكرى، ولا نتذكَّر

كارثة العالم الإسلامي بوفيات علمائهم، هذه كارثةٌ أكبر من كارثةِ فقدِ العلماء يا أيُّها السادة، إنَّنا لا نتذكَّرهُم ولا نسعى لإيجاد الخَلَفِ الصالحِ لهم، وقد قال الإمام الحسنُ البصري رضي الله عنه أحدُ سادات التابعين: "كانوا يقولون: إنَّ وفاة العالم ثُلمةٌ في الإسلام لا تُسدُّ ما اختلف الليلُ والنهار"، الإسلامُ حصنٌ عظيم، فإذا مات العالم تساقطت لبِنَةٌ من لبناتِ الحصن العظيم لا تُسدُّ، وإذا توفِّي عالمٌ آخر سقطت لبنةٌ ثانية، وهكذا وهكذا، فعلينا أن نسُدَّ هذه الثُلمة بالخلف الصالح، ونسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجبر مصاب المسلمين بفقد علمائهم وصلحائهم، وأستغفر الله العظيم، وجزاكم الله كلَّ خير.

تعقيب الدكتور محمود مصري على الكلمة

قال: من الذكريات التي لا تنسى، حين كنت أقرأ مع الدكتور نور الدين عتر رحمه الله في بيته في حلب كتابه (منهج النقد)، الذي يعدُّ ركنًا من أركان التجديد في علوم الحديث، وكانت تصله الثناءات عليه من شيوخه وأقرانه، فذات مرَّةٍ قال لي: "هذا الكتاب يمدحونه، وكذا وكذا، لكنْ لا يعلمون المشكلة في هذا الكتاب، وهي أنِّي أنا الذي ألَّفتُ هذا الكتاب".

وأمَّا كتاب (إعلام الأنام)، وهو كما تعلمون كتاب العصر، فقد سدَّ حاجة مكتبة أهل السُنَّة والجماعة، فقد حدَّثني مرَّة شيخُنا الدكتور نور الدين، قال: "كنتُ كلَّما مرَّت مسألةٌ في الكتاب أخطأ فيها الصنعانيُّ، أذكر خطأه وأكتبه، ثمَّ بعد أن اكتمل الجزءُ وجدتُ أنَّ الناس سيقولون هو كَتب هذا الكتاب ليردَّ على الصنعاني، قال: فحذفتُها كلَّها، وتركتُ نماذج بسيطة حتَّى يَعلم طالبُ العلم الأخطاءَ التي وقع فيها هذا الرجل".

وكذلك عندما كنَّا في الدراسات العليا نقرأ معه كتاب (نيل الأوطار) للشوكاني، وكان الشيخ رحمه الله هو من قرَّره علينا، كنَّا حين نصل إلى استنباط أو مناقشة، يقول: "عودوا إلى ما قبل صفحتين ماذا يوجد هنا، هل يوجد تناقض أم لا؟" هذه العبارة تكرَّرت كثيرًا كثيرًا، فكان يبيِّن لنا أنَّ تخبُّط الشوكاني هو لعدم ضبطه للأصول، وأنَّ

هؤلاء مذهبُهم أنَّه ليس عندهم أصولٌ يعتمدون عليها في الاستنباط وفي مناقشة المسائل فيقعون في التناقض.

كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم

الأستاذ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم عضو هيئة كبار العلماء، وأستاذ الحديث الشريف في جامعة الأزهر، وجهوده المباركة في الإشراف على تحقيقات جمعيَّة المكنز الإسلامي لكتب السُنَّة معروفة بقيمتها العلميَّة عند أهل الاختصاص، وهو من زملاء شيخنا رحمه الله، فهو خير من يُحدِّثنا حديث الذكريات المتعلِّقة خاصَّةً برحلات الشيخ نور الدين عتر رحمه الله إلى مصر.

قال: الذي يتَّسع له المقام من الذكريات مع الدكتور نور الدين عتر رحمه الله الراحل العظيم، أنَّه كان في حلقات العلم، سواءٌ في الرياض في جامعة محمَّد بن سعود الإسلامية أو في مصر، حيث كان فضيلتُه يأتي إلى جامعة الإمام قسم الحديث أستاذًا زائرًا لمُدَّةٍ لا تطول بحُكم ارتباطاته، وكنتُ أُزامله خلال فترة زيارته وأستفيدُ من علمه، وأتناقش معه في ما يتعلَّق بقضايا الحديث وعلومه، أو في ما يتعلَّق بتحقيق التراث الحديثي، نظرًا إلى ما كان يتمتَّع به الشيخ من الخِبرة في المجالين، وأمَّا في مصر فممَّا يُذكر أنَّه جمعتني معه ساحةُ الجامع الأزهر، حيث كان زائرًا على الرواق الإسلامي الذي تتبنَّاه جامعة الأزهر الشريف، وتستضيف فيه علماء المسلمين الذين لهم تخصُّصٌ دقيق، ولهم آراءٌ نيِّرة يستفيدون منها.

ويُضاف إلى ما ذُكر أنَّ الدكتور نور الدين عتر رحمه الله كان له كذلك إسنادٌ عالٍ يصِلُ من يُجيزهُ به بسيِّدنا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وقد كان رحمه الله مُجازًا من عددٍ من علماء الحديث، سواءٌ من مصر أو من خارجها أو في بلاد الهند والشام، وبالتالي جمعتني وإيَّاه الرواية بإسناد الحديث إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في ساحة الجامع الأزهر بمصر، وكان في ذلك إحياءٌ لسنَّة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، ووصله للحاضرين، وكانوا كُثُرًا وعلى مدى قرابة الشهر.

وكذلك ممَّا قرأه الشيخُ وحضرتُ معه شرحُ نخبة الفكر المسمَّى نزهة النظر،

وهو من تحقيقات فضيلة الشيخ رحمه الله، فقد درَّسه في ساحة الأزهر الشريف، وحضرتُ في ذكرياته خِتامَ دروس شرح هذا الكتاب الجيّد، وكان جمعٌ عظيمٌ من طلَّابه قد حضروا ليستفيدوا من عمقه العلمي في الحديث وعلومه.

ومن ذكرياته التي لا تُمحى ويُتأسَّى بها، أنَّ الشيخ كان يعتبر نفسه من المدرسة الأزهرية في تخصُّص الحديث وعلومه، حتَّى إنَّا عندما عرضنا في جلسته أنَّنا نجمع بين مدرسة الشام ومدرسة الأزهر توقَّف الشيخ، وقال: "لسنا مدرستين، ولكن مدرسةٌ واحدةٌ، فرعُها في الشام وفرعُها في مصر، وكلاهما تحت كنف وراية الأزهر الشريف"، وهو بهذا يُعلِّمنا أنَّ شأن العلماء العاملين أنَّهم يجمعون ولا يفرِّقون، وأنَّهم يربُّون من يسمعهم عمليًّا، كيف يمكن أن يلتقي علماء الأمَّة الإسلامية على رأي واحد كما اجتمعوا تحت مجالٍ واحدٍ، وتحت رمزٍ واحدٍ هو رمزُ التوحيد وعقيدةُ الإسلام الصحيحة التي تجمع ولا تُفرِّق، فقد كان بهذه الصفة صفة الجمعِ للشباب وطلبة العلم على وحدةِ الفكر ووحدةِ العمل في كلِّ المحافل التي تَنقَّل بينها، سواءٌ في بلاد العالم الإسلامي أو في ما رحل إليه من غيره، وفي كلِّ الحالات هذا يكون في ميزان حسناته، فعلى مَن يحملون راية السُنَّةِ وعلومها أن يجمعوا ولا يُفرِّقوا، وأن يُعلِّموا هذا سلوكًا وعملًا، وأنَّ الخِلاف بين العلماء المسلمين الأُصلاء هو خلافٌ لا يُفسد الودَّ ولا المحبَّة، لقد وَجد الأئمَّةُ الأربعةُ الشافعيَّ يُثني على الإمام مالك ويتلقَّى عنه، والإمام أحمد يؤلِّف في مناقب صاحب المذهب الآخر، وغير هذا ممَّا يضربُ لنا مثلًا أنَّ تعدُّدَ المذاهب في الإسلام هو تعدُّدٌ يُكمِّلُ بعضُه بعضًا، ولا يعادي بعضُه بعضًا، ولا يُفرِّق جمعَ الأمَّة الإسلامية؛ لأنَّ الكُلَّ غرضُه أن يُبيِّن ما تسعه أدلَّةُ الشرع الإسلامي في تفاصيل ما يُتعبَّدُ به، وما يُحتكَم إليه، وما يؤصِّل التربيةَ الإسلامية الصحيحة التي تجعلنا إخوةً متحابِّين، نلتقي على محبَّةِ الله عزَّ وجلَّ ورسولِه والتسامحِ، الشيخ نور الدين عتر رحمه الله هو مثالٌ لهذا النموذج، وفي تأبينه أؤكِّد على هذه النقطة، لقد ألَّفَ الشيخ كُتُبًا لم يُدخِلْ فيها عواملَ تفرّق، وكان فيها أزهريًّا وشرعيًّا، وعالمًا يجمعُ بين علم الكتاب الكريم والسنَّة المطهَّرة، نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجعل مؤلَّفاته ومحاضراته ومُدارساته ومُناقشاته للرسائل والإشراف عليها عملًا صالحًا يتقبَّله الله منه في موازين حسناته، ويجمعنا وإيَّاه في

جنَّةِ الخُلد مع الصالحين على حوض نبيّنا محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم، وأن يُوردنا جميعًا حوضه الشريف بين يدي الله تعالى وفي مواقف القيامة، وأن يختم لنا حُسنَ الختام جميعًا، إنَّه على كلِّ شيءٍ قدير، وصلَّى الله وسلَّم على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

أكرمكم الله فضيلة الدكتور وبارك الله في حياتكم وجزاكم الله عنَّا كلَّ خير.

تعقيب الدكتور محمود مصري على الكلمة

أوَّلُ لقاء بيني وبين والدكتور أحمد معبد عبد الكريم كان في مؤتمر المخطوطات، الذي دُعينا إليه في مكتبة الإسكندرية سنة ثمان وألفين من الميلاد، وقد احتفى بي كثيرًا لما عَلِمَه من الصلة بيني وبين الدكتور نور الدين عتر رحمه الله، وزرتُه في بيته في القاهرة وأكرمني بالإجازة، ثمَّ كنت أحمل السلام بينهما في كلِّ زيارة من زياراتي المتكرِّرة إلى القاهرة، ولا شكَّ أنَّني اطَّلعت من خلال ذلك على محبَّةٍ واحترامٍ شديدٍ متبادلٍ بين الشيخين.

وشيخنا الدكتور نور الدين رحمه الله حدَّثني أنَّ أوَّل تعرُّف له على عالَم المخطوطات، كان في مرحلة الدراسات العليا في القاهرة، حيث التقى مع من يُعدُّون في ذلك الوقت أساطين التحقيق في القاهرة، وكانوا من أساتذته أصلًا، منهم الأساتذة: أحمد صقر، ومحمود شاكر، وعبد الوهَّاب عبد اللطيف، قال لي الشيخ رحمه الله: "إنَّه كان يعجب من هؤلاء الذين يشتغلون في المخطوطات، كانوا يتحدَّثون عن المخطوطات كمن يبوح بسرٍّ عظيم، وربَّما أغلقوا الأبواب، كان عندهم تكتُّم شديد، ويوصون بعدم نشر الأخبار، وبذلها لغير أهلها"، ولذلك فإنَّ الشيخ نور الدين في افتتاح كلمته في الدورة الأولى التي أُقيمت في حلب في المكتبة الوقفيَّة لتحقيق النصوص، قال: "الدكتور محمود مصري يريد في هذه الدورة أن يُفشي أسرار هذا الفنِّ الذي ما عوَّدنا أساتذتنا على مثله"، وبسبب تحضيره لرسالة الدكتوراه وهي حول الإمام الترمذي وبين جامعه والصحيحين، فكان هذا يتطلَّب منه العودة إلى كثيرٍ من الكُتب المخطوطة التي لم تكن قد طُبعت بعد في تلك الفترة، فكان دائم

التردُّد على قاعة المخطوطات في دار الكتب المصرية، يُفتِّشُ في الفهارس، وخاصَّةً فهارس مخطوطات الحديث ويطَّلع عليها، وكان -كما حدَّثني- يساعده في ذلك مديرُ المكتبة آنذاك الأستاذ فؤاد سيِّد، ومن خلال اطِّلاعه على هذه المخطوطات وعلى الفهارس قام بتصحيح كثيرٍ من الأخطاء، وكان يُعدُّ كثيرًا من الفهارس التي يُصحِّحها ويُقدِّمها للأستاذ فؤاد سيِّد، ثمَّ أيضًا في رحلاته إلى تركيا كان يتردَّد إلى مكتبات إسطنبول، وكان يساعده -كما حدَّثني رحمه الله- فضيلةُ الشيخ محمَّد أمين سراج رحمه الله، وطلَّابه يساعدونه في الحصول على صور لهذه المخطوطات، وكان قبل أن يأتي إلى إسطنبول يكون قد صنع في دمشق فِهرسًا لما يريد أن يطَّلع عليه في إسطنبول؛ لأنَّ الفهارس كما هو معلوم لم يكن معتنًى بطباعتها في تلك الفترة، وكانت الجهود المبذولة للوصول إلى المخطوطات بغياب هذه الأدلَّة جهودًا مُضنية وشاقَّة جدًّا.

وأوَّل عمل علمي تصدَّى له الشيخ في التحقيق كما أشار إليه شيخنا العوَّامة، هو كتاب مقدِّمة علوم الحديث لابن الصلاح، وكان ذلك على نسخة مكتبة أحمد عارف في المدينة المنوَّرة، ونسخة المكتبة الأحمديَّة وغيرهما، لكنَّ الشيخ رحمه الله ظلَّ يجدُ في نفسه شيئًا من عدم الرضا عن النسخ المستعملة في تحقيق الكتاب، التي تصل إلى خمس أو ستِّ مخطوطات، فأعاد التحقيق مرَّة أخرى عندما وصل إلى النسخة الأصليَّة المقروءة على المؤلِّف، وإلى نسخة أخرى مقابلة على الحافظ العراقي، واختصر بذلك التعليقات المطوَّلة في مقابلة النسخ ممَّا يرى أنَّه لا يوجد لها فائدة كبيرة؛ بل كان يقول رحمه الله: "المبالغة فيها هو مما يشوِّش ذهن القارئ"، والمفروض أن تكون محدودة، وفي حدود الشيء الذي لا بدَّ من بيانه في الهوامش.

إنَّ الشيخ رحمه الله أخرج كتاب الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي، وشرح العلل للإمام الترمذي، والمغني في الضعفاء للذهبي، وإرشاد طلَّاب الحقائق للإمام النووي، وهداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك لابن جماعة، ثمَّ أخيرًا شرح النخبة للحافظ ابن حجر، وكان آخرَ تحقيقاته، حيث قال لي: "إنَّ شيخه الشيخ عبد الله سراج الدين أمره بالتوقُّف عن الاهتمام بعلوم الدراية، والانتقال

للاهتمام بعلوم الرواية".

كلمة الدكتور فيصل الحفيان

الحمد لله ربِّ العالمين أنَّه اختصَّ هذه الأُمَّة بعلم الحديث، وحفظ لها به سُنَّة نبيّها في كلِّ زمنٍ قديمٍ وحديث، وصلَّى الله وسلَّم على سيّدنا محمَّدٍ الذي آتاه الله الكتاب والحكمة لتهتدي بهما الأُمم، وتسلكَ النهج الأقوم، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم مدى الزمن.

أظنُّكم أساتذتي الأفاضل تعرفون هذه المقدِّمة، هذه البسملة والحمدلة التي بدأ بها شيخنا الدكتور نور الدين عتر رحمه الله كتابه إرشاد طلَّاب الحقائق، وقد رأيتُ أن أستهلَّ بها كلمتي نوعًا من براعة الاستهلال، فربَّما الحديث عن الشيخ نور الدين عتر يحتاج إلى افتتاحيَّاته أو إلى افتتاحيَّةٍ من افتتاحاته لكُتُبه.

في الحقيقة، ما سأقوله هو مجرَّد هوامش بلا قيمة حول ما ذكرتموه جميعًا في ما يتَّصل بالشيخ رحمه الله، وستتلخَّص هذه الكلمة بشيءٍ قليلٍ لا يمكن أن يقاس بما قاله الأستاذ الدكتور محمود مصري؛ لأنَّه أعرفُ وأوثق منِّي بالشيخ رحمه الله فقد تتلمذ على يديه مباشرةً، وأنا التقيت به مرَّاتٍ ثلاث:

مرَّةً كانت في حلب في دورة فهرسة المخطوطات التي نظَّمتها المكتبة الوقفيَّة بالتعاون مع مؤسَّسة الفرقان للتراث الإسلامي، كان هذا في العام ألفين وثمانية.

ثمَّ في عام ألفين وعشرة في دورة تحقيق النصوص، أيضًا في حلب، من تنظيم المكتبة الوقفيَّة كذلك.

ثمَّ المرَّة الثالثة والأهمُّ التي شرَّفني فيها بزيارة بيتي في حمص برفقة أكثر من ثلاثين أستاذًا وطالب علمٍ من حلب وحمص وحماه، وكانت هذه في الحقيقة لُقيا شديدة الأهمِّيَّة سُررت بها كثيرًا؛ لأنَّها أطلعتني عن قُرب في هذه الجلسة المطوَّلة في بيتي على شخصيَّة الشيخ، وهنا أُريد أن ألمس بعضًا من الجوانب الإنسانية المهمَّة التي تستحقُّ أن تروى، في الحقيقة إنَّ الشيخ نور الدين رحمه الله له سمتٌ

فذٌّ فردٌ لا يُشاركه فيه غيره، اجتمعت فيه بعض الخصال التي لا يمكن أن تُخطئها عين، تلك السكينةُ والهدوء كماء النهر الذي لا يُخيفك ولا يخدعُك ولا يفجئُك بشيء، سكينةٌ وهدوءٌ بالغتان، هذه السكينةُ وهذا الهدوء مسنودان بتواضعٍ صادق، هو فيه خُلَّةٌ أصيلةٌ لا يمكن إلَّا أن تصدِّقها؛ لأنَّها صادقة، وكان أهمُّ تجلٍّ لما قلت هو ذلك الصوت الخفيض الذي لا يكادُ يُسمع، كلُّ ذلك ربَّما كان وراءه ذلك السلام الداخلي الذي تراه في وجهه وفي حركته، تلك هي الشخصيَّةُ التي نتحدَّث عنها، وأنتم بلا شكٍّ أدرى منِّي بها، لكن، هذا ما استطعتُ أن أشير إليه وأحدِّده بهذا السمت الخاصِّ الذي يتمتَّع به منفردًا عن كثيرين من علمائنا.

أريد في الحقيقة أن أربط بين هذا السمت الذي حدَّثتُكم عنه وبين لغة الشيخ الدكتور نور الدين عتر رحمه الله في كتبه، أعتقد أنَّ هذا السمت انعكس على الشيخ وعلى كتاباته، ربَّما خلافًا لفضيلة الشيخ العوَّامة، أرى عندما أقرأ كتب الشيخ العلَّامة نور الدين عتر أنَّني مُتردِّد، هل أنا أقرأ لمُحدِّثٍ أديب، أم لأديبٍ محدِّث؟ طبعًا هذا لا ينطبق على كلِّ التراث الذي تركه في الحديث الأدبي، إنَّما تجده في مقدِّماته، أو في الكتب الفكرية أو ذات الطابع الفكري التي نعرفها له، وأمَّا في كتابته العلمية المباشرة المتخصِّصة فنحن مع عالم دقيق محكم.

ما هي خصائص هذه اللغة التي يكتب بها الشيخ نور الدين رحمه الله؟

أوَّلًا: الألفاظ القريبة السهلة الليِّنة التي ليست بعيدة ولا مُستكرهةً، لكنَّها في الآونةِ نفسها ليست مبتذلةً ولا رخيصةً ولا سهلةً، ومن مجموع هذه الألفاظ تكوَّنت التراكيبُ التي نراها في لغته، تراكيبُ تتميَّز بأنَّها مُحكمة قصيرة، تصيبُ غالبًا الهدف الذي تريده من أقرب طريق.

يلفتُ كثيرًا في كتب الشيخ نور الدين رحمه الله، وخاصَّةً في المقدِّمات، أنَّ فيها سجْعًا، ولكنَّ هذا السجْعَ لا تشعر وتحسُّ به إلَّا إذا أعدت النظر وأردتَ أن تكتب عن الموضوع، أنت لا يمكن أن تشعر بهذا السجع؛ لأنَّه يرِدُ بصورةٍ عفويَّةٍ تلقائيَّةٍ تخدمُ الفكرة دون أن تنال منها أو تحصرها في ما تُريد، هذا السجع الذي أُشير إليه

يعكس ذلك السمت الذي تحدَّثنا عنه.

يحاول الباحث أن يُصنِّف لغة الشيخ نور الدين عتر رحمه الله فيعجز، لا هي تراثيةٌ تقليديةٌ صرفةٌ أو خالصة، ولا هي لغةٌ حديثةٌ من لغة هذا الزمن، هي مزيجٌ يعكسُ من الناحية الفكرية الانتماء إلى التراث من جهة، ويعكس أيضًا انخراطه في العصر من جهة أخرى.

أعتقد أنَّ من يقرأ كُتب الشيخ نور الدين لا بدَّ أن يلاحظ أنَّه قد اجتمعت فيه مجموعةٌ من العناصر التي قلَّما تجتمع، منها ما أشرنا إليها آنفًا، ومنها نظر المفكِّر، وهذا ما نجده بوضوح في الكتب الفكرية أو ذات الطابع الفكري، ومنها أناةُ العالم وخاصَّةً بموضوعه، وتحديدًا إحاطته بأطراف موضوعه حتَّى إنَّه لا يغيب عنه شيء، ومنها انضباطه وهو انضباط المحقِّق ودقَّته وأمانته، تلك هي الخلاصات الأربعة التي هي جِماع الشخصيَّة العلمية للشيخ نور الدين عتر رحمه الله.

أريد أن أتوقَّف عند مسألة النظر الفكري، الفكر عند نور الدين عتر يقوم على أربعة أُسس:

الأوَّل: شديد الوضوح، وقد أشار إليه الدكتور العوَّامة، وهو انتماؤه للدين والتراث، وهذا ساطع سطوع الشمس في كلِّ ما كتبه من الناحية الفكرية.

الثاني: إيمانه الراسخ بقيمة التراث المغروس والجُهد الذي بذله علماؤنا، وبخاصَّةٍ في ما يتَّصل بعلم الحديث، فهو عندما يشير إلى المحدثين يقول: "ابتكروا أدقَّ منهجٍ للروايات"، ويقول: "بنَوا صرح علمٍ عظيم".

الثالث: مسألة إيمانه إيمانًا موازيًا لقيمة التراث، وهو مسألة إيمانه بضرورة الإحياء والتجديد لأنَّ الأساس الذي بُني عليه تراثنا هو نفسه الإحياء والتجديد، تراثنا إنَّما عاش ووصل إلينا لأنَّ جذعه هو جذع الإحياء والتجديد، فالنووي مثلًا عند نور الدين عتر "أحيا سُنَّة السلف، وقدَّم مثالًا كاملًا للتجديدِ يقتدي به المسلمون وعلى طريقه يسيرون". هذا هو الركن الثالث في فكر الشيخ نور الدين عتر رحمه الله.

الرابع: ربَّما لا نجده واضحًا، أو لا نستطيع أن نعثر عليه إلَّا باستقراء كتبه، مثل مسألة ضرورة تحقيق التوازن العلمي بين العلوم الدُنيويَّة والعلوم الشرعية، ومن ذلك تنبثق فكرة أنَّ العلم لا يقاس بعوائده المادِّيَّة.

هناك عبارة تدعم الافتتاحية التي بدأتها، جاءت في تعليقه رحمه الله على عبارة النووي التي يعلِّق فيها على إقدامه على اختصار علوم الحديث لابن الصلاح، يقول: "فإنَّ كتاب ابن الصلاح، يعني علوم الحديث رحمه الله وإن كان بليغًا في الاختصار فقد ضعُفت عنه هممُ هذه الأعصار والهمم مترقِّيةٌ في الكَسلِ والفتور"، يقول الشيخ نور الدين في تعليقه على هذه العبارة: "يا لها من عبارةٍ مصوِّرةٍ زاخرة، ما أجدرها بزماننا من زمانه، لكنَّه رأى ذلك فيهم غاية سموٍّ وعلوِّ نفسٍ، فقد كان فيهم الأئمَّة الأعلام الأفاضل الكرام الذين يُستسقى بهمُ الغمام، فكيف لو رأى زماننا هذا الذي طُوي فيه العلمُ ببعض الدخلاء، وامتُحن من الطائفيين الوقحين الدخلاء، تقزَّمت بهم مناهج التعليم العالي التي أُعدَّت في العُرف العالمي لتخريج العلماء المطَّلعين والمدرِّسين المتخصِّصين، حتَّى صارت مثال تعليم المبتدئين في أيَّام أجدادنا الأقدمين"، اقتباس وسجع وعبارات فكرية وعصرية لا يمكن وصفها.

سبحان الله، أجد قرابةً بين النووي في زمانه والدكتور نور الدين عتر في زماننا، الذهبي يقول عن النووي: "إنَّ النووي اجتمعت فيه أمور، منها: العلمُ والزهدُ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".

إنَّ هذه العناصر الثلاثة اجتمعت في الدكتور نور الدين، نُلقي نظرة أوَّلًا على العلم، وفضيلة الشيخ العوَّامة والشيخ أحمد معبد قد أشار إلى هذه النِّقاط، لكن أُريد أن أضع بعض الهوامش التفصيلية التي تؤكِّد ما قالوا.

العلم عند الدكتور نور الدين عتر تجلَّى في تراثه المكتوب الذي خلَّفهُ تأليفًا وتحقيقًا، وقد لاحظت أنَّ هذا التأليف أو التحقيق فيه الكمُّ كما أشار الشيخ العوَّامة بلغ نحو الستِّين كتابًا، ثمَّ النوع والمستوى بإجماع أهل المتخصِّصين والعالمين في الموضوع الذي يكتب فيه، ثمَّ التنوُّع نلحظ أنَّه يتوزَّع على التأليف العلمي المتخصِّص، والتأليف الفكري الثقافي، والتأليف الدعوي الأخلاقي التعليمي، هذه

هي العناصر الثلاثة.

فلننظر في التأليف العلمي المتخصِّص أين ذهبتْ به هذه الاتِّجاهات التي كتب فيها، هناك الحديث وهو الغالب، وهناك القرآن الكريم، وهناك الفقه، وهناك السيرةُ النبويَّة.

ففي الحديث: تكلَّم في مناهج الحديث، وفي جمع الحديث وتوثيقه، وفي مصطلحاته ومعجماته، وله معجم في المصطلحات الحديثية وهو معروف، كما كتب في الجرح والتعديل، وفي أحكام الحديث الفقهية، وفي فكر الحديث واجتماعيَّاته وأدبيَّاته ، وهذا ما نجده في كتابه (الملامح الفنِّيَّة في الحديث النبوي) و(الروائع والبدائع في البيان النبوي).

وفي علوم القرآن: تكلَّم في علوم القرآن، وفي أحكامه، وفي تفسيره، وفي أسلوبه وفي بيانه، وفي علومه تكلَّم في نقطةٍ مهمَّةٍ، هي مسألة علم المناسبات كما جاء في كتابه (علم المناسبات وأهمِّيَّته في التفسير وكشف الإعجاز).

وفي الفقه: له إسهامه المعروف الذي تجلَّى في الكُتب والبحوث في قضايا فكريَّة عديدة تنتمي للعبادات والمعاملات معًا.

وفي السيرة النبوية: له أيضًا (النفحات العطرية من سيرة خير البريَّة).

كثير من المتخصِّصين في علم الحديث المهتمِّين بالحديث العلمي يذهبون بعيدًا أو ينسون مسألة الفكر في ما يتَّصل بالحديث خاصَّةً، وبالعلم والإسلام عمومًا، بيد أنَّ شيخنا ترك لنا تراثًا محترمًا في هذا الميدان، هو كتابه (فكر المسلم وتحدِّيات الألف الثالثة).

وكيف تتوجَّه إلى القرآن، وكيف تتوجَّه إلى العلوم والقرآنُ الكريم مصدرها، نجد لشيخنا كتاب (الاتِّجاهات العامَّة)، وكتاب (السنَّة المطهَّرة والتحدِّيات).

وماذا عن المرأة، وعن الدعوة والوعظ والإرشاد والأخلاق، وعن التعليم، وله فيه مثلًا كتاب (تعلَّم كيف تحجُّ وتعتمر على المذاهب الأربعة).

سنلاحظ على هذا التراث أنَّه بمفهوم العصر الحديث يقوم على (البينية)، فهو يجمع بين الحديث والفقه، وبين التفسير والفقه، وبين الحديث والتفسير والأدب والبلاغة، وهكذا. هذا المزيج المعرفيُّ الذي يستحقُّ أن يلفت انتباه الباحثين.

لا يمكن الفصل بين التحقيق والحديث، فالتحقيق خرج من رَحِمِ علم الحديث، فالمحدِّث بالضرورة محقِّق، والمحقِّق لا بدَّ أن يؤصِّل كلامه من كتب علم الحديث، فالشيخ رحمه الله حقَّق نصوصًا في اتِّجاهين؛ في الحديث وهي الغالبة، وفي الفقه في بداية السالك في المذاهب الأربعة لعزِّ الدين ابن جماعة، ورؤيته في التحقيق ناضجة تمامًا، وأوَّل ما يدلِّل على هذا أنَّه عندما كتب كتاب إعلام الأنام بشرح بلوغ المرام من أحاديث الأحكام لم يحقِّق فقط، وإنَّما حلَّل وشرح واستنبط، وهو يعرف الحدود الفاصلة بين كلٍّ من هذه، ولعلَّه بهذه النقطة أشبه ما يكون بالشيخ محي الدين عبد الحميد في ما فعله في النصوص اللغوية التي بين أيدي الناس.

حين نظرتُ إلى تعامله مع النسخ أو وصفه للنسخ، شعرتُ أنَّني أمام كوديوكولوجي بلغة المحقِّقين، يعرف كيف يصف النسخة، وكيف يربط بين المعلومات الواردة في النسخة، وجدت هذا في النسختين اللتين اعتمد عليهما في تحقيق كتاب إرشاد طلَّاب الحقائق، وله اهتمام بالظواهر المتعلِّقة بالوعاء والنصوص الموجودة حوله بدقَّةٍ بالغةٍ، فقد وصف نسخة كوبرلي وصفًا دقيقًا، واستنبط منها أنَّها نسخة منقولة من عصر المؤلِّف، وكذلك فعل مع النسخة الثانية نسخة آيا صوفيا.

وأبرز ما يُميِّز المحقِّق هو التعليق، وتعليقات الشيخ كانت ترتكز أساسًا على فكرة الاختصار ولا يشوِّش على النصِّ، ولا يذهب باتِّجاه اعتماد نسخة ولا التوفيق بين النسخ، وإنَّما يجمع بين الأمرين، ومن هذا الباب هو في تعامله مع النسخ والنصوص حريصٌ جدًّا على زيادات النسخ، سواء في النسخ المقدَّمة أو المفضولة.

وأبرز ما يميِّز تحقيقاته: توضيح الغامض، وحلُّ المُشكل، والإفادةُ المهمَّة المرتبطة بالنصِّ.

هذا المنهج الذي اعتمده الشيخ هو منهج ينسجم تمامًا مع ما وصل إليه التحقيق

في مفهوم العصر الحديث.

رحم الله الدكتور نور الدين عتر، ومن أراد أن يعرفه، فمن طريقين: طريق كتبه، وطريق تلاميذه. إنَّ أحدًا لم يحظَ بحبِّ تلاميذه ومحبِّيه وارتباطهم به وتعلُّقهم به كما حظيَ الشيخ نور الدين عتر بذلك، فتلاميذه يحبُّونه حقًّا، ويشعرون بالانتماء إليه، وأنَّ ما أعطاهم هو الكثير، وربَّما يرجع هذا إلى السمت والشخصيَّة التي حلَّلتها بسرعة، في أخلاقه وتواضعه الصادق وفي هدوئه، ونحن بحاجة لمثل هذا الشخص في أمور التحقيق والنصوص التحقيقيَّة.

تعقيب الدكتور محمود مصري

كثيرًا ما نعتمد في دورات التحقيق على كتاب نزهة النظر بنسخه الخطِّيَّة، في كيفيَّة انتقاء النسخ التي تغني عن نسخ كثيرة، فمن نسخ نزهة النظر نسخة قرئت على المؤلِّف قبل وفاته بسنة واحدة تقريبًا، وهذا ما كتبه ابن الإخصاصي الشافعي، ووضع البلاغ عليها ابن حجر في آخر النسخة تقريبًا، وأثبت شيخُنا نور الدين قراءات لعدد من المشايخ لهذه النسخة.

وأهمُّ ما يُلفت النظر إليه ويُعلِّمنا إيَّاه، أنَّ مثل هذه النسخة تعدُّ أنموذجًا مهمًّا لكتب التراجم، فهذه النسخة ذكرها السخاوي في الترجمة وذكر أنَّها قرئت على المؤلِّف، فعندما يحصل المحقِّق على نسخة قرئت ونسخت وكتبت في حياة المؤلِّف وتذكرها كتب الطبقات؛ تصبح هذه النسخة الغرض الذي ما بعده غرض في التحقيق.